صراعات إثبات الهوية
في الخطاب الروائي السعودي المعاصر:
صراعات المرأة الوافدة في (البحريات) نموذجاً*

د. أبو المعاطي خيري الرمادي**

* تاريخ التسليم: ٢٦/ ١/ ٢٠١٣م، تاريخ القبول: ٥/ ٣/ ٢٠١٣م.
** أستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب/ جامعة الملك سعود/ المملكة العربية السعودية.

ملخص:

تعد الرواية السعودية المعاصرة من أكثر الروايات العربية اهتماماً بصراعات إثبات الذات وتأكيد الهوية، ولعل ذلك يعود في جزء كبير منه إلي طبيعة التركيبة السكانية للمجتمع السعودي، المختلف بها عن جل المجتمعات العربية، فهو مجتمع يفتح أبوابه على مصاريعها للآخر، وفي الوقت نفسه يرفضه، ويحرص على إقصائه وتهميشه، ويسعى بكل السبل إلى صهره في آتون ثقافته. ويميز الرواية السعودية المهتمة بصراعات إثبات الهوية تناولها لموضوعات غير مألوفة في المنجز الروائي العربي، على رأسها صراعات المرأة الوافدة للمحافظة على هويتها من الاندثار، والمحافظة على ذاتها من الاستلاب داخل مجتمع الصحراء. وتعد رواية (البحريات) للروائية السعودية أميمة الخميس من أهم الروايات السعودية التي تناولت هذا الصراع، فهي لم تنظر لصراع المحافظة على الهوية من زاوية الصراع فقط، بل خاضت في أسبابه ونتائجه بطريقة فنية بعيدة جد البعد عن التقريرية الوعظية، مما جعلها مناسبة لرصد أشكاله، والوقوف من خلالها على خصائص عامة لنصوص صراع إثبات الهويات.

الكلمات المفتاحية:

الهوية الصراع الخطاب الروائي الاستلاب.

Conflicts of identity in contemporary Saudi novelist discourse Expatriate women conflicts in «Albhriat» as model

Abstract:

The contemporary Saudi novel is one that mostly cares about the conflicts of self- affirmation and identity confirmation among all Arab novels. Perhaps the reason behind it mainly goes to the nature of demographics of Saudi society which is different from all Arab societies. It has its doors wide open to the others; at the same time it rejects them, tries to exclude and marginalize them and tries its best to make them melt in the furnace of its culture. The thing that distinguishes Saudi novel which is interested in conflicts of identity affirmation is addressing the unfamiliar topics in the Arab novels, especially the conflicts of expatriate women to maintain their identity from extinction and alienation within the society of desert. Rewaya Al Bahriyaat (the admiral novel) of the Saudi novelist Omaima Al Khamis is the one that addresses this conflict the most among the Saudi novels. This novel did not look at the conflict of maintaining the identity from the angle of conflict only, but dig deep in its causes and effects in an artistic way far away from the normative hortatory, which makes it suitable to monitor its forms and find general characteristics of the texts of the conflict of identities affirmation.

Key Words:

Identity, Conflict, Novelist discourse, Alienation.

توطئة:

سيظل صراع إثبات الهوية متأججاً مادامت الحياة، يهدأ حيناً ويثور في أحايين كثيرة بفعل متغيرات ثقافية، واقتصادية، واجتماعية، وتاريخية، ترمي بظلالها دوماً على المجتمعات المحكومة بقوانين ديناميكية تجعل حركتها الداخلية حركة دائمة. وهو صراع لا يتأجج بفعل اختلاف الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو التاريخ فقط؛ فكثيراً ما يشتعل أواره بين أبناء الأمة الواحدة، ولعل ذلك مرده إلي ارتفاع درجة الإحساس بالأنا لدى الإنسان، وهو إحساس يبلغ ذروته في نفوس أبناء المجتمعات المنغلقة على نفسها، فدائماً ما يتهيبون من الآخر ويرفضون الاحتكاك به والتعامل معه، ويسعون خلف ما يعرف بجماعة « النحن « التي من خلالها تتحدد الهوية الاجتماعية للأفراد، وهي هوية منغلقة لا تعترف بقوانين التوازن والتفاعل والتناغم اللازمة لتفعيل الاتصال بالآخر. وهو صراع متعدد الأشكال والدوافع، يتجسد في صور عديدة: كمحاولات فرض الثقافة الخاصة، ومحاولات اجتثاث ذوات الآخرين والقضاء على ثوابتهم التاريخية وإجبارهم على الانصهار في بوتقة الأنا، ومحاولات الرد والمقاومة لتأكيد الوجود وإثبات الهوية.

تسعى هذه الدراسة إلى رصد أشكال صراع إثبات الهوية في الخطاب الروائي السعودي المعاصر (البحريات نموذجاً) ، خاصة صراعات المرأة الوافدة/ المجتلبة للمحافظة على هويتها الثقافية، والوطنية، والتاريخية، والوقوف على آليات مقاومتها اجتثاث الذات واستلاب الهوية، والفرق بين رؤيتها ورؤية الرجل للهوية، وتحديد خصائص عامة لنصوص صراع الهويات. وهي النصوص المعنية بالهوية استلاباً ومقاومة، الراصدة معاناة الشخصية من الآخر وآليات مقاومتها.

تتكون الدراسة من تمهيد يتناول مفهوم الهوية، وطبيعة المجتمع السعودي، والرواية والمجتمع، ثم قسمين هما على التوالي: ثنائية الفعل والفعل المضاد، تبين فيه الدراسة آليات استلاب الهوية، واجتثاث الذات، ووسائل المجابهة، ثم هوية النص ونص الهوية، تحاول الدراسة فيه رصد ملامح عامة لنصوص صراع الهويات بالتطبيق على النص المنتخب للدراسة، وتنتهي الدراسة بخاتمة توضح أهم النتائج.

وقد انتخبت الدراسة رواية « البحريات « للروائية السعودية أميمة الخميس دون غيرها من الروايات المهتمة بصراعات المحافظة على الهوية؛ لأن الصراع هو موضوع الرواية الأساس ولم يأت عرضاً ضمن أحداثها، مما جعل النص مختلفاً عن غيره من النصوص

المهتمة بهذه القضية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى شمولية نظرة الكاتبة، فهي لم تنظر لصراع المحافظة على الهوية من زاوية الصراع فقط، بل خاضت في أسبابه ونتائجه بطريقة فنية بعيدة جد البعد عن التقريرية الوعظية، كما أن الرواية بسبب طبيعتها هذه مناسبة تماماً لتحديد هوية نص الهوية والوقوف على ملامحه.

سبقت هذه الدراسة بدراسات عدة، اهتمت بقضايا الهوية، تناول بعضها روايات سعودية، مثل دراسة الدكتور إبراهيم الشتوي « أبحاث في الهوية، دراسات في الرواية العربية « [١] ، التي تناول فيها بالدراسة رواية « سفينة وأميرة الظلال» للروائية مها الفيصل، ودراسة الباحثة نورة فرج «ارتباكات الهوية: أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية الفرنكوفونية « [٢] ، التي تناولت فيها بالدراسة رواية « الحزام» للروائي السعودي أحمد أبودهمان. وتناول البعض الآخر روايات عربية، مثل دراسة سهيلة بريوة « التصادم الثقافي وصراع الهويات في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك « [٣] للروائي الجزائري عمارة لخوص، ودراسة عبد الجبار ربيعي « هوية السرد وسرد الهوية في رواية صحو الكلام للأستاذ عيسى مومني» [٤] ، ودراسة إبراهيم فرغلي « سؤال الهوية والمواطنة والانفتاح على الآخر في رواية ساق البامبو» [٥] للروائي الكويتي سعود السلعوسي. وهي دراسات لم تهتم برصد أشكال صراع إثبات الهوية، ولم تتعرض لملامح نصوص صراعات الهوية. الأمران المشكلان عصب هذه الدراسة.

التمهيد:

١ـ ١ مفهوم الهوية:

ذاع مفهوم الهوية (بضم الهاء) عالمياً وعربياً في نهايات العقد الستيني من القرن الماضي، متزامناً مع حركة صعود المد القومي في بلدان العالم الثالث، وتغير خريطة العالم بعد استقلال الأقليات. وهو من المفاهيم التي حيرت ومازالت أصحاب المعاجم والباحثين المهتمين بالدراسات الفلسفية والأنثربولوجية، ولعل السبب كامن في أن مفهومها « مفهوم متحرك يشتبك فيه التجريد النظري بالممارسة التاريخية « [٦] ، فلم تقدم المعاجم العربية للفظة هوية معنى شاملاً يميزها عن غيرها من المصطلحات قريبة الصلة منها، مثل الأنا، والخصوصية، والماهية. فهي في المعجم الوجيز تعني: الذات [٧]، وفي المعجم الوسيط: تعني حقيقة الشيء أو الشخص، التي تميزه عن غيره[٨]. وهما تعريفان فضفاضان خاصة أن حقيقة الشيء في حركة دائمة ترفض الثبات، وتتحكم فيها ظروف المجتمع الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والذات لفظة مطاطة لا يمكن تحديد ملامحها بسهولة.

وتعددت تعريفات الفلاسفة لها، وإن كانت كلها تدور في فلك واحد، فالشريف الجرجاني في كتابه التعريفات يقول: "إنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب " (٩) . ويقول عنها الفارابي: إنها كلمة اشتقها المترجمون الأوائل من الـ هو لينقلوا " بها الأمكنة التي تستعمل فيها أستين في اليونانية، وهست بالفارسية... وجعلوا المصدر منه الهوية... ورأى آخرون أن يستعملوا مكان تلك الألفاظ بدل الهو لفظة الموجود وهي لفظة مشتقة ولها تصاريف، وجعلوا مكان الهوية لفظة الوجود " (١٠) ومع ذلك فقد " فرضت كلمة الهوية نفسها كمصطلح فلسفي يستدل به على كون الشيء هو نفسه" (١١) . وهي تعريفات تلتقي مع ما نجده عند فلاسفة اليونان القدامى خاصة أرسطو الذي يعرف الهوية ببوصفها: " وحدة الكائن، أو هي وحدة لتعدد الكائنات، أي وحدة الكائن الواحد المنظور إليه باعتباره متعدداً؛ إذ حينما نقول – على سبيل المثال – إن الشيء الواحد متطابق في ذاته، إنما ننظر إليه في نفس الآن كما لو كان شيئين، و في نفس المنحنى* يذهب فولتير الذي يرى الهوية مصطلحاً علمياً لا يعني سوى الشيء نفسه، ويمكن ترجمته إلى اللغة الفرنسية بمعنى التساوي. ولا يخرج هيجل وغيره من فلاسفة الغرب عن هذا الجذر التعريفي المؤسس لمفهوم " الهوية " والذي نقلت المعاجم والموسوعات الفلسفية المعاصرة صياغته بنفس المعنى؛ حيث دأبت على اعتبار الهوية "مقولة تعبر عن تساوي وتماثل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاته، أو تساوي موضوعات عديدة" (١٢) .

وهي تعريفات تجمع كما هو ظاهر على أنها ما يكون به الشيء هو ذاته، متمايزاً عن غيره من الأشياء، وتشير إلى " المبدأ الدائم الذي يسمح للفرد بأن يبقى هو هو، وأن يستمر في كائنه عبر وجوده السردي، على الرغم من التغيرات التي يسببها أو يعانيها " (١٣) ، مع الوضع في الحسبان أن ما يتحدد به الشيء متغير غير ثابت. وهو إجماع نرى فيه عودة قوية للفرد والفردية، والاهتمام بالاختلاف، ومقاومة " لسياسات التعميم، ولكثير من المقولات الثابتة في الإرث الغربي في عصر التنوير الأوروبي " (١٤) . ولعل تعريفها بأنها " قوة وتميز واسترداد للملامح وسط الحشود " (١٥) التعريف الذي ورد في روايتنا محل الدرس مرتبطاً بـ" رحاب " الفلسطينية من أروع التعاريف.

١ـ ٢ طبيعة المجتمع السعودي.

يختلف المجتمع السعودي عن غيره من المجتمعات العربية في تكوينه، فهو مجتمع مفتوح يستوعب الكثير من الجنسيات بألوانها وثقافاتها ومعتقداتها وصراعاتها، لكن أفراده على غير المعروف عن المجتمعات المفتوحة لا يستطيعون الانسجام مع الآخرين بسهولة، حتى لو اتفقوا معهم في اللغة واللون والدين؛ فالشخصية السعودية « تتسم بالشك

في الآخر (ميراث اجتماعي) ، وضعف القدرة على التكامل والانسجام بسهولة مع الآخر من خارج محيطها حتى تعرفه وتطمئن إليه، ونلحظ ذلك من خلال عدم التكامل بين كثير من السعوديين ونظرائهم من دول أخرى « [١٦] لذا يظل الوافد على هذا المجتمع مرفوضاً، يفصله عن أهله سياج الشك الذي لا ينهار بسهولة.

والعجيب في هذا المجتمع مع هذا الرفض حرصه الشديد على التزام الآخر بثقافته وأعرافه وتقاليده التي قد تتناقض مع ثقافته الوافد بها، وأرجع ذلك إلى ارتباط ثقافة هذا المجتمع وأعرافه وتقاليده بروح الدين الإسلامي الذي لا مجال للخروج على تعاليمه. وهو حرص يستلزم استلاب هوية الآخر مهما كانت، فلا حياة له إلا بالذوبان والتسعود، وإن كانت حدة هذا الاستلاب قد هدأت كثيراً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، التي يؤرخ بها لبداية نقلة نوعية في هذا المجتمع الاستاتيكي، حيث زاد انفتاحه على الغرب وتغيرت نظرته لثقافته، وأصبح الاتصال به أمراً واقعاً، واستيعاب فكره ضرورة، وقبوله بثقافته وهويته أمراً حتمياً، لكنها لم تنته، ولعل سبب ذلك ثقافة هذا المجتمع الضاربة بجذور في أعماق التاريخ. وهي ثقافة كونية، ناتجة عن موقع الجزيرة العربية في مفترق طرق التجارة منذ القدم، يختلط فيها الفارسي، بالروماني، وبالعربي، وبالفينيقي، وبالفرعوني، وبالحبشي، وبالهندي، هذبها دين التوحيد وشذبها، وخلصها من مفاهيم التعدد والتجسيد والشرك وصنع لها خصوصيتها التي ميزتها بين ثقافات الأمم المحيطة، فبسبب قوة هذه الثقافة وثباتها في عصر الكونية، وسهولة الانفتاح على الآخر وثقافاته لم تصمد فقط أمام السيل الغربي الجارف، بل نجحت في صهر ثقافات كثيرة في بوتقته، قد يكون للجانب الروحي الطاغي عليها أثر في عملية الصهر هذه، لكنه ليس الوحيد.

لكن هذا الحكم على ثقافة المجتمع السعودي ليس حكماً قطعياً؛ لأن طبيعة المجتمعات التغير وعدم الثبات، يتحكم في حركتها نحو التقوقع داخل شرنقة الذات، أو الانطلاق والانفتاح على الآخر حركة مد وجذر اجتماعية، وثقافية، واقتصادية عالمية، بالإضافة إلى أصالتها من عدمها.

١ـ ٣ الرواية والمجتمع:

الرواية منتج أدبي اجتماعي ذو سمات خاصة، لا خلاف على أن الروائي صانعه بقدرات فكرية، وتخيلية، ولغوية،

وثقافية، واجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في أثناء عملية خلق النموذج الروائي الذي « يحيا حياة كل الناس ويعاني قضيتهم « [١٧] ، النموذج الباقي الذي يرى فيه كل متلق ذاته بخيرها وشرها، وفرحها وحزنها، وشجاعتها وجبنها، وقدرتها وقت الفعل، وخنوعها

وقت الضعف، فهي الجدار الرابع من جدران البناء الروائي، المحتاجة عملية تجسيده بشدة إلي ما يمكن تسميته بثقافة الشارع، وهي ثقافة اجتماعية شمولية، بدونها لا وجود للإبداع؛ فالإبداع عامة والرواية خاصة «فعالية اجتماعية وإن بدا فردياً للوهلة الأولى « [١٨] . وهذه الصلة بين الرواية والمجتمع ليست عجيبة فالرواية من دون الأجناس الأدبية الأخرى ظهرت « لتمثل الحياة في تنوعها كله « [١٩] ، كما أنها تنفتح على الحياة بمجملها، وبتفاصيلها ومفرداتها*، وتتحمل مستويات متعددة من الخطاب، وتخاطب المستويات كافة، وتستوعب الإيديولوجيات كلها؛ نظراً لتعدد الشخصيات فيها وتفاوت مستواها المعرفي والاجتماعي واختلاف موقعها الاقتصادي والسياسي والثقافي، ولسهولة تلقيها، فمتلقيها لا يحتاج في كثير من الأحيان إلي مخزون ثقافي ضخم يساعده على فهم النص، ولا إلي آليات تأويل تمكنه من الوصول للمغزى، بخلاف الشعر الذي درج على ألا يعطي المتلقي كنهه بسهولة ويسر.

وهذه العلاقة بين الرواية والمجتمع « تقوم على التغذية والتلقي ، تغذية المجتمع للرواية، وتلقيه لها « [٢٠] ؛ فإنسان المجتمع وعلاقاته بما حوله وتفاعله مع من حوله المنبع الذي يسترفد منه الروائي مادة روايته، ونفس الإنسان هو من يمنح المادة المسترفَدة بعد إعادة تشكيلها شرعية الوجود إذا قبلها، وهو من يكتب شهادة زوالها إن رفضها، لذا فهي ابنة مجتمعها*، كيانها مرتبط به، وديمومة بقائها مرتبطة بمدى تغلغلها في صميمه، وتعبيرها بشمولية عن قضايا إنسانه، وتسجيل كل ما يمر به من أحداث تسجيلاً فنياً دقيقاً يجعلها وثيقة غير تاريخية*، لا يرى فيها الإنسان الواقع، بل يرى فيها حقيقة الواقع وجوهره.

وقد استوعبت الرواية السعودية المجتمع السعودي بقضاياه ومشكلاته، بما فيها صراع الأنا والأنا، وصراع الأنا والآخر من أجل إثبات الهوية، واختلفت نظرة الروائيين للآخر، فحيناً هو المغلوب على أمره، وحيناً هو الجحيم بتعبير سارتر، وصوّرت محاولات الآخر لمقاومة الانصهار، والاجتثاث الثقافي، ومن هذه الروايات رواية « البحريات « موضوع الدراسة.

٢ـ ١ النص:

تدور أحداث رواية «البحريات« لـ (أميمة الخميس)* في الفترة ما بين العقدين السادس والسابع من القرن العشرين الميلادي، فترة الانقلاب الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع السعودي، وبداية مرحلة التطور والانتقال من «الحياة الخاضعة للقانون الطيني«[٢١] إلى حياة تجمع بين النسقين العربي والغربي، وطفرة حضارية غيرت شكل المجتمع وسلوكيات أفراده.

تحكي الرواية عن « بهيجة» الشامية التي جلبت إلى القصر في قلب نجد، وهي في الثالثة عشرة من عمرها، « ولأنّ انعطافاتها كانت لم تكتمل بعد، والخوف وفراق أمها جعلها صفراء كجرو مسلوخ، لم يبد الملك رغبة فيها» [٢٢] فوهبها لوزيره « أبي صالح آل معبل»، الذي منحها لابنه «صالح» غير المتآلف مع زوجه البدوية «موضي»، فسمقت « واستدارت، وفتحت محارتها فاندس فيها صالح وأغلقتها عليه، وسكبت عليه ماءها وعصائرها» [٢٣] ، فبرّد بعشقه لهيب غربتها وهون عليها العيش في قلب الصحراء، معه أصبحت أم ولد لها الكثير من الحقوق وشرعية وجود واهنة، لم تقو يوماً رغم إنجابها سبعة من الذكور.

تصور الرواية معاناتها مع المكان وقاطنيه، وترسم ملامح غربتها واغترابها، ومحاولات اجتثاثها من جذورها، ومقاومتها، وبجور « بهيجة « التي استحوذت على الجزء الأكبر من الرواية، نرى معاناة بحرية ثانية، هي « رحاب» المدرسة الفلسطينية المهجَّرة قصراً من وطنها إلى بيروت، التي ألقت بنفسها في آتون الصحراء هرباً من آلام قصة حب فاشلة بعد رحيل المحبوب إلى الغرب بلا عودة، ومعاناة بحرية ثالثة هي» سعاد « الشامية زوج «سعد»، شقيق زوج «بهيجة»، التي باعها أهلها إلى الصحراء في صورة زوجة، فلم تستطع الاندماج في مجتمع (آل معبل) الصحراوي وعانت من نسائه اللواتي أطلقن عليها مرة « البحر الأبيض المتجمد « [٢٤] ومرة، « عناد... لأنها قلما تستجيب لندائهن المتكرر لمشاركتهن قهوة الضحى أو المغرب في مجلس النساء « [٢٥] ، وبجوار الثلاث غريبات، تتعرض الرواية لمآسي» مريما « الحبشية المسيحية التي جلبت جارية للصحراء، و» أم سرور» الخادمة الإفريقية السوداء، و» عجايب» الإيرانية الجميلة، ونرى فيها من طرف خفي مقارنات بين أبناء الوافدات المنتسبين بحكم القانون إلى آبائهم السعوديين، وأبناء صاحبات المكان، ونتعرف فيها على عادات المكان الصحراوي وتقاليده، وعلى الأعراف التي تحكم العيش فيه. كل ذلك داخل بيت (آل معبل) الذين قطنوا جنوب الرياض بجوار مزارعهم وتجارتهم، ثم انتقلوا إلي الملز مع بدايات النهضة، مجارة للتطور الاجتماعي الذي شمل الرياض كلها.

تناقش الرواية بفنية موقف المجتمع السعودي الصحراوي من الوافدين، وبالتحديد موقف المرأة من المرأة، وحرص المرأة الوافدة أو المجتلبة على هويتها وصراعاتها من أجل المحافظة عليها كشهادة بقاء داخل مجتمع لا يرضى إلا بالذوبان فيه.

٣ـ ثنائية الفعل والفعل المضاد:

قاومت البحريات بالتمرد محاولات اجتثاث ذواتهن واستلاب هويتهن، وصمدن أمام

محاولات صهرهن في آتون المجتمع النجدي الصحراوي المناقض تماماً للمجتمعات التي ترعرعن فيها، مع اختلاف في شكل المقاومة، ووسائلها، والقدرة على الصمود. بدأ تمردهن على المكان، وعلى تقاليد المجتمع وأعرافه، وثقافة الصحراء، ثم تطور إلى الميل للآخر الغربي.

٣ـ ١ التمرد على المكان*:

استقبل المجتمع السعودي ممثلاً في بيت (آل معبل) الوافدات استقبلاً باهتاً رافضاً وجودهن، فطبيعة النجديات التوجس من الغريبات» كان النسوة يختفين خلف توجسهن من الغرباء، ويطللن من خلف ثنايا أرواحهن المتشابهة التي تخشى البريق، أرواح أفلح المكان أن يختلسها ويحولها إلى كثبان مضللة الغرباء» (٢٦) . حاولت «أم صالح» زوج أبي صالح آل معبل أن تفرض سطوتها على «بهيجة» دون نسوة البيت الغريبات اللاتي «أجدن رسم خطوط الدوائر النارية حولهن فلا تجرؤ على الدنو منهن» (٢٧) ، وجعلت من نفسها الرقيب على عباداتها، تأمرها بالصلاة. « تقف أسفل الدرج وتظل تصيح بها لتصلي صلواتها (... قومي صلي جعلك الوصل، قومي صلي لا ربي يعاقبنا بسببك، الشر يعم والخير يخص، أنا أدري من وين يجيبون لنا هالكافرات.. حسبي الله ونعم الوكيل عليك يا شامية إبليس» (٢٨) ، وتحدد لها ما ترتدي من ملابس. « صنعت لها ثوبين وسروالين طويلين « (٢٩).

أسلوب الصحراوية العجوز كبرى نساء (آل معبل) جرّأ عليها بقية النسوة فأصبحت « الجدار المنخفض بإمكان الجميع أن يطوح بالتهمة ويلصقها بها « (٣٠) ، لكنها لم تستسلم وتعلمت « أن هناك دوائر خفية يجب أن ترسمها حول نفسها حتى لا يخطو أحد بداخلها، دوائر تنحتها بعناية لتعرفها هي، ولابد أن تعرفها نسوة البيت أيضاً» (٣١) .

ولم يكن استقبال مجتمع (آل معبل) لـ «سعاد» المضيئة التي تشبه جنيّة من خزف مختلفاً عن استقبال «بهيجة»، فعندما رأتها زوج سعد الأولى «أخذت تصيح: أخرجوها.. أخرجوها المجرمة... فتقهقرت وسط رعبها وخزيها وصياح الأطفال حولها: اطلعي.. اطلعي» (٣٢) لا تجد من يساعدها على لملمة كرامتها المهدرة.

ولم تستقبل الصحراء «رحاب» الفلسطينية بشكل مخالف، فقد تعمدت العراقية مديرة المدرسة التي حُدد لها العمل بها أن تبرز أنيابها ومخالبها مع اللقاء الأول بينهما، تعاملت مع اسمها باستهتار ومهانة «لتضعها في الإطار الذي تحتاج أن تضعها فيه، والذي تود أن تعاملها رحاب من خلاله» (٣٣) .

هذا الاستقبال الرافض كان سبباً لاشتعال أوار صراع الهويات، أملاً في إثبات الذات، وليس عجيباً أن يكون أول طريق مقاومة استلاب الهوية التمرد على المكان؛ فالمكان ليس

مجرد مساحات يشغلها الإنسان ويتنقل فيها، بل هو تاريخ، وثقافة، ووجود، وحياة، هو عنوان الإنسان، والصورة المعبرة عن خارجه وداخله، «يبدو كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بينه وبين الإنسان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر» (٣٤) ، فيعرف المكان بصاحبة، ويعرف المرء بمكانه، فليس عجيباً أن تكون «هوية المكان جزء من هوية الإنسان» (٣٥) .

بدأت « بهيجة « أولى خطوات رفض استلاب هويتها الساحلية واجتثاث جذور ذاتها وهي في بيت (آل معبل) الطيني برفضها المكان الصحراوي، وسعيها لتغيير مظهره ليتشابه في شيء مع مكانها الأم. «في إحدى الصباحات اختلست من المطبخ في الأسفل رؤوس البصل وحفرت في أرض السطح الطينية، وأخذت تغرس لعلها تستجيب، وتسقيها كل يوم لعل النتج الأخضر يرطب خياشيمها الناشفة» (٣٦) ، وعندما كثر أولادها وخُصص لها على سطح البيت غرفتان عزلتهما عن البيت و «أخذت بعض التنك الذي كانوا يخزنون به التمر، وكانوا يدقون عليه لرقص النسوة كل عصر، وجعلته أواني غرست بها ياسميناً وفلاً ووروداً جورياً وزعته بين مدخل جناحها والسطح، وتعاونت معها «ماريما»جارية «أبي صالح» الحبشية، وصنعت لها حوضاً صغيراً للزرع، وغرست به شتلة عنب» (٣٧) .

وإعادة تشكيل المكان هذه ليست مجرد تجميل لمكان تقليدي بدائي، وليست محاولة لجذب انتباه الآخر، بل هي ترميم للذات كي لا تنهار، من شخصية « غير قادرة على التحلل من مزاجها البحري المتراوح بين المد والجزر، وهدير صاخب يقلق هدوء الصحراء وسكينتها» (٣٨) ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تحفيز لملكات مقاومة الاجتثاث بصناعة المكان المثل الذي يحمل عبق المكان الأم وتاريخه، وثقافته، وذكرياته، ومن ناحية ثالثة هو انتصار لـ « بهيجة» على الأقل أمام نفسها.

و سلاح المقاومة نفسه انتهجته « سعاد» التي تزوجها « سعد آل معبل « بعد زواجين شبه فاشلين: الأول من ابنة الخال « تلك الزوجة التي تتلقف فرقعات المراهقة الأولى وألعابها النيرانية فتنتهي إلى أن تصبح ورطة أبدية بصحبة عدد من الأطفال... والثانية «منيرة « التي أصر أن يتزوجها كونها متعلمة، كان سعد يتخيل في أوائل السبعينيات أن المرأة المتعلمة ستكون ساحرة وستفعل به الأعاجيب لاسيما أعاجيب المطبخ والفراش « (٣٩) ، استجابت لنداء البحر وراحت تزرع بعض النباتات في علب الحليب المجفف التي كانت تحتفظ بها « تزركش بها مدخلها وتطري جفافه الرياضي الصارم» (٤٠) ، واستجابات نباتاتها لها « فاشرأبت وتشابكت وصنعت غابة من الياسمين والورد والجاردينيا، بطوق من أشجار الكينا يحمي الأسوار الخارجية « (٤١) .

لم تكن مجرد حديقة يفوح منها أريج الزهور، كانت وشاحاً من حب « دثر غربة سعاد.. ورمم وحشتها « [٤٢] ، ووسيلة للمحافظة على الهوية الحضرية في مقابل عالم الصحراء، والتميز عن الأخريات بشيء يمنحها ولو أمام نفسها الخصوصية، و» مقارعة قانون الرمال» [٤٣] .

لم تتمرد البحرية الثالثة « رحاب « الفلسطينية المهجَّرة قصراً إلى بيروت، على المكان مثل قرينتيها. قَدَمَتْ إلى الرياض معلمة بإحدى مدارس البنات التي اُفتتحت مع بدايات عقد النهضة، بعد ظهور النفط، قَذَفَت نفسها في صحراء المملكة «بعيداً عن بيروت وعن كورنيش المزرعة، وعن تشققات في أيامها جعلت صباحاتها بلا نبض وجعلت قهوتها كالعلقم»[٤٤] بعد قصة حب فاشلة، بطلها «علىّ» الذي قرأ فاتحتها مع أبيها وسافر إلي الولايات المتحدة بلا عودة.

وهو أمر طبيعي؛ فعلاقة رحاب بالمكان الأم/ فلسطين مبتورة منذ هُجِّرت مع أسرتها إلى بيروت هرباً من مجازر اليهود، وبيروت بالنسبة لها ليست الوطن بزخمه الثقافي والاجتماعي والتاريخي والعقائدي، ليست الوطن بذكرياته، وأفراحه وأتراحه، بخيره وشره، بل هي مستقر غير دائم، ومحطة عبور، إلى مكان آخر. ومن هي في مثل ظروف «رحاب « تتساوى عندها الأماكن، فكلها أجساد بلا روح، لا تربطها بها سوى ذكريات عابرة، كل ما يشغلها مأوى يمنع عنها الأعين، لا يشغلها تشابه ملامحه ومكوناته مع غيره؛ لأن صورة غيره في الذاكرة باهتة كالحة، تكونت ملامحها من بقايا حكايات عن الوطن.

إن رحاب المكلومة في حبها رأت في نجد مقبرة مناسبة لوأد ذكرياتها، فهي لم ترحل إليها مجبرة، ولا طمعاً في المال والمنزل الفخم المطل على أحد شواطئ بيروت، بل علّها تكون أولى درجات سلم الهبوط إلى عالم الخلاص من حياة عاطفية مريرة. وهو رحيل إلى عالم الصحراء يختلف شكلاً ومضموناً عن رحيل بهيجة المجتلبة أمة، وسعاد المجتلبة زوجة ثالثة، فقد كانت نجد بالنسبة لهما أولى درجات سلم الصعود إلى الحياة، حيث الاستقرار المادي، والخروج من بوتقة الفقر إلى عالم الغنى، قبل أن تُصدما بحقيقة العيش في الصحراء بين سكان نجد.

بجوار البحريات الوافدات توجد ثلاث شخصيات غريبات عن المكان أيضاً ـ، هن «مريما» الحبشية، و «عجايب «الفارسية، و «أم سرور». لم يرفضن المكان، ولم يسعين لتهذيب ملامحه بما يتوافق مع أماكن في الذاكرة، وأرجع ذلك إلى أمور ثلاثة: أولها طبيعة حياتهن في بيت (آل معبل) ، فالثلاثة من الجواري اللواتي كنّ يهدين لأبي صالح، وليس لهن وظيفة غير القيام بأعباء البيت الكبير جداً، وإمتاع أبي صالح، والثاني فقدهن لوسائل

الاتصال مع مجتمع (آل معبل) ، فلا يربطهن به لغة، ولا تاريخ، ولا دين، على نقيض سعاد، وبهيجة، وصراع إثبات الذات لا يشتعل إلا عندما يتوفر له الحد الأدنى من التوافق بين المتصارعين، والثالث الهدف الذي من ورائه أشعلت الكاتبة أوار هذا الصراع، وهو صراع الحضارة مع نفسها، وأثر ذلك على بقائها.

٣ـ ٢ التمرد على الأعراف والتقاليد*:

لم تكتف البحريات بالتمرد على المكان، خاصة أن محاولات تغيير ملامح المكان لم تهم أصحابه، فلم يعترضن على

التغيير، ولم يعجبن به، فخرجن على أعراف المجتمع وتقاليده، وهو ليس خروج عصيان، بل تَمَسُّك بتقاليد وعادات وطن ينبض في الذاكرة.

فترفض «بهيجة» من اللحظة الأولى ما يعتقد عن أن الألوان الناصعة والملابس المزركشة ستجذب الأعين ومن خلالها سيأتي الموت، » كان الموت في تلك الأيام زائراً شبه دائم يأخذ في طريقه الشيوخ والصبايا والرضع، كان يعلم أهل نجد أنه يتربص بهم كذئب خلف البوابة المجاورة، كانوا يحاولون مراوغته والاختباء عنه، يموهون جميع ألوانهم اللامعة المزهرة، جمالهم أو نضارتهم البراقة، أو وجبة تملأ بطونهم، أو ثوباً قشيباً يكسو الجسد ببريق يتحدى صرامة الرمال، جميع تلك الألوان المترفة اللامعة ستجذب الأعين، وعبرها سيشتم الموت طريقهم فيباغتهم عبر الحسد والسحر الأسود والربط.. كانوا يلفون تلك الأشياء ويخفونها عن الأعين لاسيما عن الأطفال الرضع والعرائس المتحنيات للعريس»(٤٥) .

كانت هذه الألوان حياتها، وجودها، هويتها، تميزها وسط حياة الصحراء الكالحة، تجعل منها على الأقل كائناً يشغل حيزاً في وقت كان الاعتراف بوجودها واحدة من نساء (آل معبل) حلماً لا يمكن تحقيقه، فلم تتنازل عنها، ولم تستطع ترويضها. وعلى النهج نفسه سارت «رحاب» التي كانت ترى « الهوية قوة وتميز واسترداد للملامح وسط الحشود»(٤٦)، رفضت الالتزام بتقاليد المكان الكئيب الرافض لكل ما هو مزركش لامع، فلم تتخل عن تفاصيل أناقتها اليومية «تلك الأناقة الملاحقة بشروط قاسية من الأثواب الضافية الوقورة التي لا مجال فيها لكثير من البهجة، والتي تشترطها الهيئة التعليمية على المعلمة داخل المدرسة، لكن رحاب كانت تجد كثيراً من المخارج لهذا المعتقل من خلال (إيشاربات) ملونة، و (بروشات) براقة، ومعاطف كانت تعطيها هيئة ناعمة رسمية» (٤٧) ، ومثلهما انتهجت ثالثة الأثافي « سعاد» التي تمردت على عادات المكان بحرصها على الانسلاخ من سطوة ألوانه الكالحة، فلم تضيِّع فرصة تظهر فيها مختلفة في ألوانها عن سكان المكان.

لم يقف الأمر عند الملابس المزركشة، فالثلاث كن يرفضن الالتزام بغطاء الوجه. ففي السنة الأولى التي قدمت فيها بهيجة «كانت ترفض أن تضع «الشيلة» على رأسها كانت تحسها حين تلامس جلدها أنها تأكله» (٤٨) ، وعندما استعملته كان «سمحاً خفيفاً مشكلاً من طبقتين فقط على الرغم أن وجهها الأبيض يشف من تحت الغطاء» (٤٩) ، ومثلها «رحاب» التي كانت تدخل وتخرج بيت (آل معبل) بلا غطاء للوجه، وسط رفض «أم صالح» وخشيتها «أن يلمحها أحد الجيرة فيظنها أحد نسوة آل معبل، أو لربما أن يفتن بها أحد الرجال، وهي في الحقيقة تخشى أن يلمحها أبو صالح، ولاسيما أنها عزباء» (٥٠) ، ولم يختلف الحال مع «سعاد» التي حرصت على أن تكون عباءتها رهيفة هفهافة، تكشف تفاصيل الجسد ولا تستره.

وكما تمردن على التقاليد تمردن على الأعراف الحاكمة المجتمع، لكن بنسب متفاوتة. رفضت «بهيجة « العرف السائد في بيت (آل معبل) المنظم علاقة النساء بالرجال، «فلم يكن هناك أي نشاط مشترك بين النساء والرجال سوى صهيل الأجساد في الظلمة» (٥١) ، ويمنع على الرجل التلطف مع زوجته خارج غرفتها، أو أن يسر لها بحديث جانبي خافت، حتى لا يسمى «بالخركي.. أبو الحريم.. وتنتقص رجولته، ويوصم بالخثل» (٥٢) ، ويمنع على المرأة «أن توكئ رأسها كتف زوجها وتئن طويلاً أحزان النهار» (٥٣) ، وثارت على الانصياع لتعاليم صارمة، كان الخروج عليها غوص في الذات، وتفعيل للوجود داخل مجتمع يرفض الاعتراف بها، كانت مشاعرها تجاه زوجها سلاحها الأكبر لإثبات ذاتها، وتأكيد هويتها. «أخذت تختاله في دخوله وذهابه، تمنحه ابتسامه واسعة، أو تنهض من مكانها بسرعة عند دخوله وتمنحه قطعة بطيخ، أو تأخذ ما بين يديه إن كان قد جلب شيئاً... كانت تتبعه، تترقبه، تطارده، وحينما يدخل البيت من مجلس الرجال تقفز وتلف يديها حول رقبته» (٥٤).

كما رفضت أيضاً الاستسلام لنهر « أم صالح» الدائم لها كي تلتزم الصمت في مجالس النساء وأن «تنسجم مع النسيج في خلفية الغرفة» (٥٥) ، شأنها شأن كل النساء، كانت «تصمت لحظات ومن ثم لا تلبث أن تشهق كسمكة ملونة وقعت على كثيب رملي، تعود للحديث وفتح نوافذ روحها على واجهتها البحرية» (٥٦) .

لم تكن تتكلم حباً في الكلام، وتمردها على تعاليم «أم صالح» لم يكن حباً في التمرد، كانت تثرثر «وكأنها تلقي عشرات الحبال من روحها الغريقة في غربتها وغرابتها لعل أحداً يلتقطها، ثرثرتها هي الأذرع الصغيرة والأكف التي تلوح بها في صحرائها كي يمر السيارة ويلتقطوها في قافلتهم» (٥٧) ، كانت تفرض لغتها وثقافتها البحرية على المكان، آملة أن تكون جزءاً من المكان، لكن الصحراويات المتشحات بالصمت والتوجس من الغرباء لم يسمحن لها.

كما رفضت أن يكون حدادها على أبيها ثلاثة أيام، وتمردت على قول أم صالح: «العزاء ثلاثة أيام وينتهي الأمر، ومن ثم يصبح الحزن مشكلة خاصة يحلها المحزون بوسائله الشخصية، وليست جلسات عويل وصياح.. وخرابيط أشوام» [٥٨] ، وقررت «أن تتحدى وقتها، ورفضت أن تنتزع ملابس الحداد على أبيها لمدة سنة، قهرها السلوك القاسي اللامبالي ضد الميت الذي لا يملك كثيراً لينافح عن ذكراه وحدوده السابقة...» [٥٩] .

تمرُد «سعاد» على العرف السائد كان أقوى وأشد خطورة، فبسبب رتابة حياتها مع «سعد» الذي «بقى في الخارج، خارج كوخها» [٦٠] فتحت بابها لأول متلصص، وراحت في علاقة غرامية عبر الهاتف مع «متعب» السعودي الذي درس في بريطانيا، صاحب التغريد الممتع «مكالمات طويلة تلتهم الليل كله إلي أن يحين موعد إيقاظ أولادها إلى المدرسة، توقظهم ثم تنغرس في فراشها مضمخة بأحاديثه وأشعاره والمجموعة الكاملة لنزار قباني»[٦١] ، ولم يقف الأمر عند حد الأحاديث الليلية، فاستقبلته في بيتها غير عابئة بمخاطر هذا الاستقبال، ولا بعيون الخادمة الهندية التي تراقبها.

قد يبدو تمرد «سعاد» قمة الخروج على الأعراف والتقاليد، وقد يتخذ البعض منه سبباً لاتهامها بالخيانة وسوء السلوك، لكنني لا أرى أية علاقة بينه وبين سوء السلوك، فهو رد فعل وليس حباً في الخيانة، ولا انتقاماً من «سعد» الذي لم يستطع احتواءها كأنثى منذ تزوجها، هو محاولة لإثبات القدرة على الفعل، مهما كان شكله ونوعه، والتميز عن الآخرين، هو شكل من أشكال إثبات الوجود من «كائن فقد هويته وأضاع أصالته ووجد نفسه عارياً أمام غربته عن نفسه (فحاول) بشتى الأساليب ومن خلال مختلف الأقنعة أن يجد هوية» [٦٢] ويؤكد وجوده، انطلاقاً من أن القدرة على الفعل تعني الوجود.

تمردت «رحاب» أيضاً على العرف السائد، لكن تمردها كان تمرداً هيناً، لم يتعد استخدام المصعد الضيق مع «عمر» السائق اليمني المكلف بتوصيلها يومياً من شارع الخزان إلي بيت (آل معبل) ، حيث دروس بنات العائلة التي مَنعت بناتها من الذهاب للمدارس، واستقباله في شقتها تدرّس له مقرر اللغة الإنجليزية الذي عانى كثيراً من صعوبته، وأصبح عائقاً له في طريق حصوله على الثانوية العامة.

ويعود ذلك إلى أسباب ثلاثة: الأول مفهوم المكان بسبب غربتها عندها، فهو حيز وقائي يمنع عنها الأعين المتلصصة، ويقيها من تقلبات الطبيعة، لا دور فيه للذكريات، والثقافة، والعادات، والتقاليد، والأعراف، والثاني اغترابها الطويل الذي علمها التأقلم مع الأماكن مهما كانت، والثالث سبب ارتحالها إلى قلب الصحراء، فقد ارتحلت هروباً من ذكريات قصة حبها الفاشلة.

٣ـ ٣ الميل للآخر الغربي:

اعتمدت البحريات الباحثات عن مكان لهويتهن داخل المجتمع الصحراوي الذي لا يهدأ إلا بذوبان الآخرين فيه على الميل للغربي الأجنبي كوسيلة من وسائل مقاومة المد الصحراوي الجارف. فتميل « بهيجة « لـ «أنغريد» الألمانية رغم اختلاف اللغة والدين التي وفدت مع وفد ألماني لتصميم وبناء سد يحمي الرياض من أمطار السيول، ويحفظ ماء المطر. في أول لقاء بينهما في بيت (آل معبل) ، تعجبت أنغريد ومرافقتاها من اختلاف لون بشرتها عن بشرة بقية نساء البيت « أشرن لها على جلدها، ومن ثم أشرن للجميع، عرفت بأنهن يسألن عن اختلاف لونها، فأشارت لهن بيدها إلى البعيد.. وكأن هذه الإشارة شقت تورم لحظاتها، فخرج انفعالها الكبير بهن وحشد الذكريات، وإحساسها بالألفة مع غرابتهن « [٦٣] ، بكت، وشاركها طفلها الصغير البكاء، لم يهتم بها أحد « لكن أنغريد فجعت ونهضت من مكانها وحملت طفلها وطبطبت على كتفها واحتضنتها، وأشارت لها أنت وأنا سواء »[٦٤].

لم تكن « أنغريد « بالنسبة لبهيجة مجرد امرأة مختلفة عن نساء الصحراء، عندها من الحكايات والغرائب ما سيبدد ركود المكان، ولم تكن المرأة الغريبة وسط مجتمع يكره الغرباء ولا يهدأ إلا إذا صهرهم في بوتقاته، كانت وطناً جديداً « ستغرس جذورها فيه، جذورها المشعثة التي رفضت أن تلتقمها تربة المكان» [٦٥] .

هذه الألفة بين بهيجة وأنغريد في نظري هي وجه الرواية الآخر، فكما ترفض الرواية غربة المرأة العربية بين أخواتها، تحذر من خطورة البديل الذي سيكون لا محالة الآخر الغربي بثقافته، ودينه، وتاريخه، وفكره الإمبريالي.

وكما مالت بهيجة لـ«أنغريد» مالت لـ «مريما» الحبشية أكثر من ميلها لنساء بيت (آل معبل) العربيات، ومالت «سعاد « لخادمتها الهندية واستأمنتها على علاقتها بمتعب. لكن رغم التمرد الشرس واستخدام كل وسائل المقاومة نجح المجتمع النجدي في صهر البحريات في بوتقته، رغم محاولاتهن المستميتة الحفاظ على هويتهن، وهو انتصار لثقافة الصحراء القادرة بما يكمن فيها من زخم أيديولوجي واقتصادي على امتصاص ماء الحياة من ثقافات الآخرين، فتجف وتفقد تأثيرها.

استسلمت « رحاب» مكرهة للذوبان في بوتقته، تزوجت « عمر الحضرمي» الذي نجح في الحصول على الجنسية السعودية، وأصبح من رجال المال « بعد أول مليون ابتاع لها شقة في بيروت على البحر في الرملة البيضاء... وابتاع لها بيتاً في لندن أصبح مصيفهم فيه» [٦٦] ، وأصبحت نجد موطنها، وذابت « بهيجة « في بوتقة المجتمع النجدي بعد معركة

متكافئة لا هي « ملّت ولا رمال الصحراء كلّت « [٦٧] لدرجة أنها تقمصت دور أم صالح داخل بيت (آل معبل) ، وأصبحت تأمر النساء بتغطية وجوههن، وتزجر الفتيات، وتتابع تأدية الصلوات» كانت تصر دوماً على توبيخ سعاد على طريقة ارتدائها العباءة بشكل غير مستتر وضاف « [٦٨] ، واستسلمت سعاد لنسق حياتها بعد فشل علاقتها بـ « متعب «، الذي فُضحت دواخله مع أول لقاء بينهما وبان طمعه في جسدها المترع بالأنوثة.

نجح المجتمع النجدي الصحراوي في استلاب أرواح البحريات، واجتثاث ذواتهن، وامتدت سطوته عليهن في أوطانهن. فعندما زارت « بهيجة « الشام شعرت بغربة و» باختفاء الهناك الذي كانت تحسب أنها تنتمي إليه « [٦٩] ، والأمر نفسه حدث مع سعاد، ففي زياراتها المتباعدة « لا أحد يهتم بملامحها هل تغيرت؟ أم لا؟ (ولا) بملامح أطفالها وتقاسيمهم، وهم الذين تعدهم مشروعها المهم والعظيم. وتصر أمها كل عام على تسريب استفسار قلق عن سبب عدم شراء شقة باسمها في الشام حتى الآن... بعد الأسبوعين الأولين من زيارتها، وتوزيع جميع الهدايا التي في الحقائب على الأقارب والجيران وأولئك الذين تريد أن تباهيهم الأم بصهرها المليونير، يبدأ أولادها في الملل والشغب في شقة أهلها الضيقة، ويبدأ أخوتها في تسخيرهم خدماً لجلب الماء وإشعال النور وغلق النوافذ، ومن ثم يطلبون منهم إنزال أرجلهم من على المقاعد حتى لا تتسخ... وتبدأ الأم في الصياح من نجاسة الحمام، ترفض أن يدخل حمامها أحد الأطفال فهي تخاف أن يتلوث بنجاسة الأطفال... وعلى سفرة الطعام يغدو صراعاً حقيقياً حيث لا مكان للأطفال فتضطر أن تطعمهم قبل الجميع فيتذمر الأخوة لأنهم سيأخذون بركة الطبخة « [٧٠] ، فعاشت غريبة بمسخ وجود وأصبحت العودة للصحراء عودة للوجود الحقيقي.

على الرغم من ذوبان المرأة فإن صراعاتها من أجل هويتها يميزها الحرص على خصوصية كيانها، و قوة عزيمتها عن عزيمة الرجل القادر على التنازل عن هويته بسهولة. نلمح ذلك في درجة حرص «بهيجة وسعاد وعمر الحضرمي»على ملامح الهوية المميزة لهم عن الآخرين.

قدم « عمر الحضرمي» الفتى اليمني إلى المملكة وهو في الثالثة عشرة، فعمل « صبياً في محل لبيع السجاد أسفل عمارة في البطحاء» [٧١] ، ثم انتقل للعمل في بيت (آل معبل) ، «كان في البداية يهتم بالقهوة وصبها في مجالس الرجال، وتهيئة وتلميع الأواني المستعملة للقهوة والشاي والضيافة اليومية في مجلس الشيخ أبو صالح، إضافة إلى تنظيف المجالس الخارجية» [٧٢] ، وفي الوقت ذاته كان يدرس بإحدى المدارس الليلية آملاً الحصول على الشهادة الثانوية ليفوز بالجنسية السعودية التي ستحوله إلى مواطن له كافة الحقوق التي يتمتع بها أبناء الوطن الأصليين. لم نسمعه يذكر وطنه ولا أهله، ولم نر له خصوصيات

تميزه عن غيره، وتحدد له كياناً متفرداً، وتخصص زاوية يُنظر له من خلالها، ذاب في بوتقة المجتمع وأصبح واحداً من أبنائه.

تصر الرواية في اهتمامها بشخصية عمر على أن الهوية بالنسبة للرجل استثناء، فهو قادر على العيش خارج هويته، بل والتنازل عنها، قادر على صنع الهوية المناسبة لطبيعة ظروف الحياة، وتقمصها، وحياكة ذكريات لها، وتاريخ، وثقافة، لكن الأمر بالنسبة للمرأة جد مختلف، هويتها تعني ذاتها، حياتها، وفقدانها يعني الموت، فعندما فشلت بهيجة « في الصمود وانصهرت داخل بوتقة المجتمع الصحراوي بعاداته وتقاليده وأعرافه، ووفاة « صالح» ورحيله عن عالمها، راح السرطان المتغلغل في جسدها يلتهم منها جزءاً بعد جزء وماتت. و» سعاد «بعد فشل تمردها فقدت ذاتها ووقارها، وصارت تصرفاتها غريبة « إن استبد بها الطرب وحلق بها إلى شاهق قامت تتثنى وتدور مع الموسيقى بل قامت تمثلها، قامت تتبختر بين النساء بحركات تعبيرية تتواءم مع كلمات الأغنية ونشوتها.. بعض النساء كن ينفجرن بضحك خفي ويتهامسن: ماذا تريد أن تفعل؟؟؟ هل هي تغسل الغسيل وتنشره... أم تريد أن تطير، بينما أطلق عليها الفتيات السيدة ملعقة. » [٧٣] . لم نر هذا التحول من «عمر» الذي أصبح مليونيراً، في زمن الطفرة العمرانية الحضارية، يسافر لقضاء الصيف في إنجلترا، ولا يتذكر موطنه، هويته، وجوده، أصبحت الصحراء هويته التي صنعها بيده، وطبيعتها وجوده.

٤ـ هوية النص/ نص الهوية:

لنص الهوية ملامح يمكن الوقوف عليها من خلال طبيعة رواية البحريات، وهي ملامح تراها الدراسة واضحة في: سطوة الراوي، واكتناز الوصف، وحضور المكان البيت.

٤ـ ١ اسطوة الراوي:

لا تظهر سطوة الراوي في العمل إلا إذا كان عليماً ومشاهداً للأحداث دون أن يشارك فيها. والراوي في رواية «البحريات» راوٍ عليم كلي المعرفة، « يحرك الأحداث، ويصدر الأحكام، اللاموضوعية، ويروي من خلالً جدران البيوت، ومن وراء جمجمة بطله « [٧٤] ، يفرض سطوته على كل عناصر الرواية، فهو الراسم ملامح الشخصيات، والمحدد أبعاد المكان والزمان، والمتحكم في حركة السرد تقدماً وارتداداً، يعرف عن الشخصيات أكثر مما تعرف هي عن نفسها. وهو راوٍ يتعامل مع شخصياته على أنها دُمى يحركها في الاتجاه الذي يريد، ووقتما أراد، وينطقها بما يحب أن تقول لخدمة أفكاره، لذا تفقد الشخصية معه ذاتها، وتصبح بلا هوية إنسانية، ويترتب على ذلك فقدها لهويتها الثقافية، والاجتماعية، والدينية، والتاريخية، واللغوية، والفكرية.

وهو مناسب تماماً لنصوص صراع الهوية القائمة على الرفض والرفض المضاد، فالرافض يخشى بشكل أو بأخر هوية المرفوض، لذا يحاول استلابها، والمرفوض يعاني من ثقافة الرافض الاجتثاثية، ومن خوفه على ضياع ذاته الذات بزخمها التاريخي والثقافي والاجتماعي وهويته فيقاوم بكل آليات المقاومة طامعاً في ذات ندّيّة وهوية شامخة. فالأنا والآخر يعانيان، مع اختلاف في درجة المعاناة التي تتحدد قوة وضعفاً بمن هو رب المكان، والصراع بينهما ليس صراع كر وصد فقط، بل صراع كر وصد، وصد وكر. ولعل سبب مناسبته لهذه النصوص قدرته على ربط الشكل بالمضمون، فالمضمون القائم على فقدان الهوية ومحاولات اجتثاث الذات، عندما تفقد شخصياته هويتها أمام الراوي، تبدو كأنها تعيش حالتين من حالات الفقد والاستلاب مما يعمق الإحساس بالمأساة، مأساة الأنا والآخر.

تبدو كل شخصيات الرواية مستلبة، وفاقدة القدرة على تأكيد الوجود على مسرح الأحداث، تتحدث بلسان الراوي، وتتحرك وفق توجيهاته، ليس لها الحق في الحديث مع النفس كوسيلة من وسائل المواساة الذاتية، وليس لها الحق في الغوص في بحر الذكريات لتستمد منه قوة تعينها على مواجهة الحاضر، تغوص عندما يريد لها ذلك، ودون أن تعبر بلسانها عن هذه الذكريات.

يعرف الراوي عن « بهيجة « كل شيء، حتى ما يدور في خلدها، فهي « تعاني لواعج فراق أهلها عندما تهب الرياح الموسمية الحارة « [٧٥] ، ويعرف لاوعيها، وتخيلاتها، وتفكيرها « تذكر بهيجة ليالي النفاس الزرقاء الكئيبة، حيث تحدق بها وتحاصرها مخلوقات الظنون والكآبة الدخانية، ومن قاع عجزها البشري ولوعتها وقعت عيناها على مخلوق يملأ السطح الجنوبي حيث ترقد بالزعيق، هطلت اليدان من السماء... كانت قد انكفأت بجانب وليدها وقد هدّهما التعب معاً، وهو قد استسلم للنوم بعد صياح متصل استمر لساعتين، وجهه تورم بالبكاء، ونومه يقطع بتنهيدات وحشرجات، ولوهلة تخيلت بأنه سيموت وبدأت تفكر بالأمور الممكنة التي ستفعلها لتنتحر وتلحق بوليدها في حال موته... وفي تلك اللحظة تماماً اختطفتها سنة من نوم أو لعلها أخذت لترى اليدين اللتين هطلتا من السماء، كانتا كبيرتين للغاية ولكنهما ليستا موحشتين لم تعرف هل هما لذكر أم أنثى، كل الذي تعرفه أنهما قادمتان من مسافة بعيدة. » [٧٦] ، وعندما تحاول الاستقلالية والانفراد بذاتها بعيداً عنه سرعان ما يلاحقها بفعل من أفعال القول والتذكر « آه..... يا أيام بيت النخل (تذكرت) ذلك وهي تحاول أن تستعيد شهيتها الغائبة « [٧٧] ، ولم تختلف بقية شخصيات الرواية «سعاد، ورحاب، وموضي، وقماشة، وأم صالح، ومريما، وعجايب، واللولو، ومنيرة» وغيرهن عن « بهيجة « كلها شخصيات فاقدة الهوية أمام سطوة الراوي العليم، القادر على كشف دواخل كل واحدة، وفضح ما تستر.

٤ـ ٢ اكتناز الوصف:

الوصف في أبسط معانيه» تمثيل الأشياء أو الحالات أو المواقف أو الأحداث في وجودها ووظيفتها، مكانياً وزمانياً [٧٨] ، وهو في الرواية وصف « لوحة مرسومة، أكثر منه وصف واقع موضوعي [٧٩] ، وعنصر من عناصر الكتابة الروائية المتطورة باستمرار، ففي مرحلة البدايات كان مقصوداً لذاته كوسيلة من وسائل جذب القارئ، فأفرط الكتاب في وصف الشخصيات، والأماكن بشكل ملحوظ، ويكفينا « زينب « لمحمد حسين هيكل دليلاً على ذلك، وفي المراحل التالية بعد رسوخ التقنيات الروائية الحديثة التي قلصت دور الوصف وأغنت الكتّاب عن الاعتماد عليه، تغيرت النظرة للوصف وبدأت مساحته في التقلص داخل النصوص الروائية التي اعتمدت على الإشارات والإيماءات أكثر من التفصيل.

وأهم ما يميز نص الهوية اكتناز الوصف وبعده عن الاستطراد، وأرجع ذلك لاهتمام الكتّاب بالجوهر المثقل بالمعاناة أكثر من اهتمامهم بالشكل. فمساحة الوصف في رواية " البحريات " موضوع الدراسة محدودة للغاية، فلا نرى وصفاً لـ " بهيجة "، الشخصية المحورية التي بدأت الأحداث وانتهت عندها، غير " كانت فاقعة، مفرق شعرها الكستنائي المشقر يلتمع تحت غطاء رأسها، التل الأسود الشفاف الذي يغطي رأسها ومن ثم يستدير حول وجهها وعندما يلامس وجنتها البيضاء المرتفعة اللامعة كان يزيدها غرابة " [٨٠] ، وقول الراوي عن روحها: "روح بهيجة بوابة تفضي إلي ساحة، الساحة تتوسطها نافورة " [٨١] ، وقوله عن طبيعتها إنها: " الصاخبة الشفافة " [٨٢] ، وإنها "وليمة للحواس " [٨٣] ، وبعض صفات متناثرة عن بياض بشرتها، وشقرتها، وطولها السمهري.

ومثلها « رحاب « البحرية الثانية التي لا نرى لها وصفاً غير « رحاب المرأة التفاحة، صدرها وظهرها ممتلئان مكتنزان دون ملامح واضحة للخصر؛ إنما ردفان ذابلتان قائمتان فوق ساقين رفيعتين، إنها تفاحة بلا نضارة.. بلا رائحة « [٨٤] ، وإشارة إلي طبيعتها « ذات حشا متمرد « [٨٥] ، وأيضاً إشارات إلي بياض بشرتها، وجمال عينيها، وحاجبيها المقوسين.

ولم يختلف الأمر مع ثالثة الأثافي " سعاد " التي يقول عنها الراوي: " كانت يداها رقيقتين لطيفتين وعظامها رقيقة " [٨٦] ، ويقول: كانت مضيئة مذهلة كجنية من خزف " [٨٧] ، وإشارات أيضاً إلى " انعطافة الجسد، وبضاضته، وتثني الأطراف ونضارة اليدين"[٨٨].

والأمر مع المكان لم يختلف كثيراً، فأوصافه محدودة للغاية، غير معبرة عن ملامحه وأبعاده، لكنها تبيّن مدى انعكاسات طبيعته على شخصيات قاطنيه. ففي الرواية مكانان حاضران عياناً، ومكان حاضر في الذاكرة، هو المكان الأمل، قدمهما الراوي بوصف مكتنز

للغاية، رغم أنهما صلب الهوية. فيقول عن بيت (آل معبل) القابع وسط مزارعهم بجنوب الرياض: " البيت الطيني " [٨٩] ، دون أية إشارات لطبيعته المعمارية، ومكوناته الداخلية، اللهم إشارة عامة عن طبيعة البيوت في مدينة الرياض، " وقتها كانت الرياض خاضعة للقانون الطيني القديم، مكان التزم الوقار في اللون والنبرة واصطفاف الأثاث الشحيح " [٩٠] . ويقول عن البيت الذي انتقلت له الأسرة بالملز، مسايرة لركب التطور، واستجابة لملامح المدنية الحديثة التي وجدت لنفسها مكاناً بعد ثورة النفط في مطلع السبعينات: "على قطعة أرض كبيرة تقع على أربعة شوارع أقام آل معبل قصورهم الجديدة في الملز، فيلات متجاورة يجمعها سور واحد، وتفرقها دروب مرصوفة مطوقة بالورود، ونوافير ومسابح ونخيل" [٩١] ، بالإضافة إلى إشارات عن نوعية أثاثه الإيطالي، وستائره الجديدة.

أما المكان الأمل القابع في نفوس البحريات، فهو المكان الأول، حيث الفرحة، والانطلاق، والأهل، والإحساس بوجود الذات، وهو مكان بلا ملامح مادية ملموسة لارتباطه بحالة الشخصية المتغيرة دوماً.

إن وصف الشخصيات والأماكن محدود بشكل ملحوظ بالنسبة لحجم الرواية (مائتان وإحدى وستون صفحة) ، ومحدودية وصف الشخصيات نراه مناسباً لعمل يهتم بجوهر الشخصية ومعاناتها من مآسيها، فالجوهر في نص الهوية أكثر ثراءً من الشكل الخارجي، وأهميته بالنسبة للكاتب تفوق أهمية الشكل؛ فمنه يلتقط المادة الخام التي ينسج من منمنماتها المرة بساط العمل، وهي مادة لا يوفرها الشكل بحال، كما يكمن في قلة الوصف معنى استلابي، فالشخصيات التي بلا ملامح مميزة، يُنفى عنها الوجود، واكتناز وصف المكان بجوار هذه الشخصيات دلالة على رفض المكان الاعتراف بدواخل هذه الشخصيات، فالإنسان امتداد لمكانه " فإذا وصفت البيت، فقد وصفت الإنسان" [٩٢] ، وحددت ملامحه وأبعاده النفسية والاجتماعية.

إن المكان بأوصافه القليلة يبدو وسيلة من وسائل الصحراء لاجتثاث الهوية واستلاب الذات، يتآمر مع قاطنيه الأصليين ضد الغرباء، حتى لا يستطيعون اختراقه، وهو ما يجعلنا نعد المكان في نص الهوية « تجربة تحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها » [٩٣] .

٤ـ ٣ حضور المكان البيت:

المكان في رواية البحريات محدود للغاية فهو بيت (آل معبل) الطيني بالباطن جنوب الرياض، وبيت (آل معبل) الكبير بالملز، يجاورهما المشفى التي تعالج بها « بهيجة» في أمريكا، والبيتان فضاء روائياً، ضيقان للغاية، خاصة إذا ما نظرنا إليهما من زاوية عدد الشخصيات التي تجاوزت الأربعين شخصية.

واختيار البيت فضاءً تتحرك فيه الشخصيات ومسرحاً لإدارة الصراع في نص الهوية مقصود لذاته، وهو أفضل من غيره لسببين:

أولهما- كون البيت بتعبير باشلار « الوجود الحقيقي للإنسانية الخالصة التي تدافع عن نفسها دون أن تهاجم. هذا البيت هو المقاومة الإنسانية، إنه الفضيلة الإنسانية وعظمة الإنسان » [٩٤] . والثاني في ضيقه الخانق الشخصيات تأكيد لدوره الاستلابي في النص، انطلاقاً من أن « فاعلية المكان في وجدان الإنسان أعمق وأسرع من فاعلية الزمان، لأن هذا الأخير صيرورة مجردة تُدرك ولا تُفرك، أما الأول فمادة مجسدة تتقراها الحواس الخمس » [٩٥]، فكلما ضاق المكان ازدادت كراهية الإنسان له وظهرت مشاعره السلبية تجاهه.

بالتأمل في أوصاف المكانين مسرحاً للأحداث في الرواية نشعر بتواطئهما مع الشخصيات لقهر الغريبات واستلاب ذواتهن، واجتثاث هويتهن، فالبيت الطيني الريفي ليس مجرد بيت، هو مجموعة عادات وتقاليد وأعراف، وتاريخ أسرة، هو هوية متوارثة، التنازل عنها يعني فقدان الوجود، لذا شهد حرباً شرسة بين « بهيجة « وقاطنيه، وبين بهيجة وطبيعته القاسية، فالرواية تركز على أن درجة صراع « بهيجة» مع المكان حيزاً، لم تقلّ عن درجة صراعها مع قاطنيه، فكما سعت لتغيير ملامحه بما يتوافق مع هويتها البحرية، سعت لتغيير ملامح ثقافة قاطنيه، وإن كانت قد فشلت بعد رحلة صراع طويلة واضطرت للذوبان في بوتقة الصحراء. والبيت الحضري في الملز رغم تميزه بأسواره العالية وروعة مبانيه عانت البحرية الثالثة « سعاد» من ضيقه، ومن طبيعته الصحراوية التي لم تختف رغم حجم التحضر الظاهر الذي يرفل قاطنوه في آثاره، كان متواطئاً مع أهله على البحرية الغريبة، فقد ظل محتفظاً بعادات البيت الطيني وتقاليده، وأيضاً الموقف من الغريبات.

الخاتمة:

بعد هذا العرض نخلص إلى النتائج التي طمحت الدراسة في الوصول إليها وهي:

أولاً- صراع إثبات الذات لا يشتعل أواره إلا عندما يتوفر له الحد الأدنى من التوافق بين المتصارعين، لا سيما التوافق اللغوي.

ثانياً- صراع المغترب مع طبيعة المكان يتساوى وصراعه مع قاطنيه.

ثالثاً- آليات مقاومة الاستلاب واجتثاث الهوية في المجتمع الصحراوي يمكن جمعها في التمرد على المكان، ورفض تقاليد المجتمع و أعرافه، والثورة على ثقافة الصحراء، والميل إلى الآخر الغربي.

رابعاً- تمتاز المرأة في صراعاتها من أجل هويتها بإصرارها على خصوصية كيانها، و بقوة عزيمتها عن عزيمة الرجل، القادر على التنازل عن هويته بسهولة.

خامساً- الهوية بالنسبة للرجل الوافد استثناء، فهو قادر على العيش خارج هويته، بل والتنازل عنها، وقادر على صنع الهوية المناسبة لطبيعة ظروف الحياة، وتقمصها، وحياكة ذكريات لها، وتاريخ، وثقافة، لكن الأمر بالنسبة للمرأة جد مختلف؛ فهويتها تعني ذاتها، حياتها، وفقدانها يعني الموت.

سادساً- لنص صراع الهوية ملامح تميزه عن غيره من النصوص، يمكن جمعها في: سطوة الراوي، واكتناز الوصف، وحضور المكان البيت.

سابعاً- ثقافة الصحراء قادرة بما يكمن فيها من زخم أيديولوجي واقتصادي على امتصاص ماء الحياة من ثقافات الآخرين.

الهوامش:

١. إبراهيم الشتوي: أبحاث في الهوية دراسات في الرواية العربية، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢. نورة فرج: ارتباكات الهوية: أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية. الفرنكوفونية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٣. مجلة أصوات الشمال (مجلة إلكترونية)

http:// www. aswat- elchamal. com/ ar/ ?p=98&a=31768

٤. السابق.

٥. http:// www. bayanealyaoume. press. ma/ index. php?view

٦. علاء عبد الهادي: شعرية الهوية ونقض فكرة الأمل: عالم الفكر، الكويت، مجلد (٣٦) ، ٢٠٠٧م، ص ٢٧٥.

٧. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٦٥٤.

٨. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الجزء الثاني، ١٩٨٩، ص ٩٩٨.

٩. الشريف الجرجاني: التعريفات، دار عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٣١٤.

١٠. أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق محمد مهدي، دار الشرق، بيروت، لبنان، (بدون) ، ص ١١٣.

١١. محمد عابد الجابري وآخرون: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول (الاصطلاحات والمفاهيم) ، مصطلح الهوية، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٦م، ص٨٢١.

* وردت هكذا في النص المقتبس، والصواب المنحنى نفسه.

١٢. كاترين هالبيرن مفهوم الهوية: تاريخه وإشكالاته، ترجمة د. إلياس بلكا (نسخة إلكترونية موجودة في موقع. http:// www. fursah. . net/ articles/ alhaweea. htm) . يمكن الرجوع إلي تعريف أرسطو للهوية في كتابه (ما وراء الطبيعة) ، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م، ص ٩ وما بعدها، وكتاب ابن رشد الأندلسي (تفسير ما بعد الطبيعة) ، تحقيق مصطفى القباني الدمشقي، المطبعة الأدبية (بدون) ، ص ٢٤ وما بعدها. ويمكن الرجوع إلي تعريف فولتير لها

في معجمه الفلسفي (Dictionnaire philosophique: ou la raison par alphabet. Septième edition rareprem iere partie) نسخة إلكترونية موجودة على رابط http:// books. google. com. sa/ books?hl. ويمكن الرجوع إلى تعريف هيجل لها في كتاب (المنطق الجدلي) لهنري لوفيفر، ترجمة إبراهيم فتحي، دار الفكر العربي المعاصر، ط١، ١٩٧٨م، ص ٢٢وما بعدها.

١٣. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٢٢٥.

١٤. شعرية الهوية ونقض فكرة الأمل: ص ٢٨١.

١٥. أميمة الخميس: البحريات، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٦م، ص ١٤٢.

١٦. طارق على الحبيب: المجتمع السعودي رؤية نفسية، جريدة الرياض، عدد (١٤٥١١) ، ٩من ربيع الأول، ١٤٢٩هـ.

× العشرات يشهرون إسلامهم يومياً في المملكة، لكن لا توجد إحصائية دقيقة بعدد من يدخلون في الإسلام من أهل الديانات الأخرى، ويلتزمون بطبيعة المجتمع السعودي.

١٧. عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٧٩.

١٨. شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي، ط ١، ١٩٩٣م، ص٨٨.

١٩. والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨م، ص ١٩.

* دفعت هذه الميزة بعضهم إلى أن يقول: " عندما أريد أن أبحث عن الحقائق الأولى في حياة أي بلد ، وعن القواعد السياسية القادرة على تفسير توجهاته ، فإنني لا أعتمد على كتب التاريخ الموثقة ، ولا المذكرات السياسية الضافية ، وإنما أتوجه مباشرة إلى الأدب ، أسمع من الشاعر والقصاص والروائي. " انظر محمد حسنين هيكل: كلام في السياسة قضايا ورجال ، وجهات نظر ، المصرية للنشر العربي والدولي، ط ٧، ٢٠٠٢، ص ٢٦٩، والعبارة لـ.. الدبلوماسي السوري ثابت العريس.

٢٠. إبراهيم بن على الدغيري: علاقة الرواية بحركة المجتمع مدخل نظري، ضمن كتاب الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية، النادي الأدبي بالباحة ، ١٤٢٨هـ ، ص ٢٥.

* الأمر ليس قصراً على الرواية، فكافة أجناس الأدب وفنونه تلتصق بالمجتمع، وبدون هذا الالتصاق تفقد سر وجودها، لكن الرواية أشد هذه الأجناس التصاقاً بالمجتمع وقضاياه.

* الرواية في حقيقتها تخييل ينطلق من منظور، من رؤية، ويحمل منظوراً أو رؤية، فالناس والزمان والمكان في الرواية ليسوا نسخة عما في الواقع الموضوعي، ثمة درجة ما من الانزياح في الرواية بحكم طبيعتها، كمتخيل، كفن، كآلية. انظر نبيل سليمان، الرواية العربية رسوم وقراءات، ص ١٣.

* أميمة الخميس، قاصة وروائية سعودية، ترجمت أعمالها إلى الإنجليزية والإيطالية، من أعمالها (والضلع حين استوى قصص قصير ١٩٩٣م/ مجلس الرجال الكبير قصص قصيرة ١٩٩٦م/ أين يذهب الضوء قصص قصيرة ١٩٩٦م/ الترياق قصص قصيرة ٢٠٠٣م/ وسمية قصص للأطفال ٢٠٠٢م/ البحريات رواية ٢٠٠٦م/ الوارفة رواية ٢٠٠٨م/ ماضي مفرد مذكر رواية ٢٠١٠م)

٢١. البحريات: ص ٧

٢٢. السابق: ص ١١

٢٣. السابق: ص ١١

٢٤. السابق: ص ٢٠٤

٢٥. السابق: ص ٢٠٤

* التمرد revoit نمط من أنماط السلوك الاجتماعي الموجه إلي أشكال السلطة المختلفة ومظاهر النفوذ، للخروج عليها وإعادة بنيتها بالشكل الذي يخدم الفاعلين، ويحقق أهدافهم ويعيد إليهم قدراً من السلطة والنفوذ، وهو يختلف عن الثورة في شرعيته الاجتماعية ومقدار تقبل الناس له وانخراطهم فيه، وتبدأ كل ثورة اجتماعية بعملية تمرد. الموسوعة العربية، المجلد السادس، ص ٨٦١ " نسخة إلكترونية "

http:// www. arab- ency. com/ index. php?module

٢٦. البحريات: ص ٩

٢٧. السابق: ص ٣٦

٢٨. السابق: ص ٣٦

٢٩. السابق: ص ٣٥

٣٠. السابق: ص ٩٢

٣١. السابق: ص ٥٦

٣٢. السابق: ص ٢٠٥

٣٣. السابق: ص ١١١

٣٤. عبد الحميد المحادين: جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م ص ٢٥

٣٥. نجيب العوفي: مقاربة الواقع في القصة المغربية القصيرة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٨٧م، ص ٥٧٠

٣٦. البحريات: ص ١٢

٣٧. السابق: ص ٧٩

٣٨. السابق: ص ٥٣

٣٩. السابق: ص ١٦٩

٤٠. السابق: ص ١٧٨

٤١. السابق: ص ١٧٩

٤٢. السابق: ص ١٧٩

٤٣. السابق: ص ١٧٩

٤٤. السابق: ص ١٠٤

* هو اعتياد الناس على إتباع سلوك معين لدرجة الاعتقاد بأن هذا السلوك واجب الإتباع. الموسوعة العربية http:// www. arab- ency. com/ index. php?module

٤٥. البحريات: ص ٨

٤٦. السابق: ص ١٤٢

٤٧. السابق: ص ١٤١

٤٨. السابق: ص ٣٥

٤٩. السابق: ص ٩٢

٥٠. السابق: ص١٥٢

٥١. السابق: ص ٥٦

٥٢. السابق: ص ٥٧

٥٣. السابق: ص ٥٧

٥٤. السابق: ص ٥٧، ٥٨

٥٥. السابق: ص ٧

٥٦. السابق: ص ٧، ٨

٥٧. السابق: ص ٩

٥٨. السابق: ص ٣٧

٥٩. السابق: ص ٣٧، ٣٨

٦٠. السابق: ص ١٩٧

٦١. السابق: ١٩٧

٦٢. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكلوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٩، ٢٠٠٥م، ص١٣٤

٦٣. البحريات: ص ٦٨

٦٤. السابق: ص ٦٨

٦٥. السابق: ص ٦٩

٦٦. السابق: ص ٢٥١

٦٧. السابق: ص ٢٦٠

٦٨. السابق: ص ١٨٧

٦٩. السابق: ص ١٦٣

٧٠. السابق: ص ١٧٩، ١٨٠

٧١. السابق: ص١٥٤

٧٢. السابق: ص ١٥٤، ١٥٥

٧٣. السابق: ص ٢٥٨

٧٤. تزفنان تودوروف: الأدب والدلالة، ترجمة د. محمد خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٦م، ص ٧.

٧٥. البحريات: ص ١١

٧٦. السابق: ٤٠، ٤١

٧٧. السابق: ص ٦٥

٧٨. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط١، ٢٠٠٢م ص ١٧١

٧٩. سيزا قاسم: بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١١٠

٨٠. البحريات: ص ٧

٨١. السابق: ص ١٥

٨٢. السابق: ص١٥٠

٨٣. السابق: ص ١٢

٨٤. السابق: ص ١٠٤

٨٥. السابق: ص ١٠٣

٨٦. السابق: ص ١٧٨

٨٧. السابق: ص ٢٠٥

٨٨. السابق: ص ٢١٢

٨٩. السابق: ص ٧

٩٠. السابق: ص ٧

٩١. السابق: ص ١٦٦

٩٢. رينيه ويليك: نظرية الأدب، ترجمة محيى الدين صبحى، مراجعة د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب، دمشق، ١٩٧٢، ص ٢٨٨

٩٣. غالب هلسة: المكان في الرواية العربية، دار ابن هانئ، دمشق، ١٩٨٩، ص ٩

٩٤. جاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسة، ط٥، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٠، ص ٦٦

٩٥. نجيب العوفي: مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، ص ٥٦٧.

المصادر والمراجع:

أولاً ـ المراجع العربية والمترجمة:

١. الأندلسي، ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق مصطفى القباني الدمشقي، المطبعة الأدبية (بدون)

٢. باشلار، جاستون: جماليات المكان، تر غالب هلسة، ط٥، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٠م.

٣. تليمة، عبد المنعم: مقدمة في نظرية الأدب، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

٤. تودوروف، تزفنان: الأدب والدلالة، ترجمة د. محمد خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٦م.

٥. الجرجاني، الشريف: التعريفات، دار عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٣١٤

٦. حجازي، مصطفى: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكلوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٩، ٢٠٠٥م.

٧. الخميس، أميمة: البحريات، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٦م.

٨. الدغيري، إبراهيم بن على: علاقة الرواية بحركة المجتمع مدخل نظري، الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية، النادي الأدبي بالباحة ، ١٤٢٨هـ.

٩. سليمان، نبيل: الرواية العربية رسوم وقراءات، مركز الحضارة العربية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٠. الشتوي، إبراهيم: أبحاث في الهوية دراسات في الرواية العربية، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠١٠م.

١١. طاليس، أرسطو: ما وراء الطبيعة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

١٢. العوفي، نجيب: مقاربة الواقع في القصة المغربية القصيرة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٨٧م.

١٣. الفارابي، أبو نصر: كتاب الحروف، تحقيق محمد المهدي، دار الشرق، بيروت لبنان، (بدون).

١٤. فرج، نورة: ارتباكات الهوية: أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية-الفرنكوفونية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

١٥. قاسم، سيزا: بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

١٦. لوفيفر لهنري: المنطق الجدلي، ترجمة إبراهيم فتحي، دار الفكر العربي المعاصر، ط١، ١٩٧٨م.

١٧. مارتن: والاس: نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة مصر ١٩٩٨م.

١٨. ماضي، شكري عزيز: في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي، ط ١، ١٩٩٣م.

١٩. المحادين، عبد الحميد: جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٠. هالبيرن، كاترين: مفهوم الهوية: تاريخه وإشكالاته ترجمة د. إلياس بلكا (نسخة إلكترونية موجودة في موقع

http:// www. fursah net/ articles/ alhaweea. htm.

٢١. هلسة، غالب: المكان في الرواية العربية، دار ابن هانئ، دمشق، ١٩٨٩.

٢٢. هيكل، محمد حسنين: كلام في السياسة قضايا ورجال ، وجهات نظر ، المصرية للنشر العربي والدولي، ط ٧، ٢٠٠٢.

٢٣. ويليك، رينيه: نظرية الأدب، ترجمة محيى الدين صبحى، مراجعة د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب، دمشق، ١٩٧٢.

ثانياً ـ المراجع الأجنبية:

1. *Dictionnaire philosophique: ou la raison par alphabet. Septième edition rareprem iere partie f. voltaire:*
http:// books. google. com. sa/ books?hl

ثالثاً ـ الصحف والمجلات والدوريات:

١. عالم الفكر، الكويت، مجلد (٣٦) ، ٢٠٠٧م.

٢. جريدة الرياض، عدد (١٤٥١١) ، ٩من ربيع الأول، ١٤٢٩هـ.

رابعاً ـ المعاجم والموسوعات:

١. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الجزء الثاني، ١٩٨٩م.

٣. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٥م.

٤. الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول (الاصطلاحات والمفاهيم) ، مصطلح الهوية، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٦م.

٥. معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت ط١، ٢٠٠٢م.

خامساً ـ المواقع الإلكترونية:

1. *http:// www. fursah net/ articles/ alhaweea. htm*
2. *http:// www. arab- ency. com/ index. php?module*
3. *http:// www. aswat- elchamal. com/ ar/ ?p=98&a=3176*
4. *http:// www. bayanealyaoume. press. ma/ index. php?view*
5. *http:// books. google. com. sa/ books?hl*